247656 ـ هل يصح إطلاق القول بأن القلب كعبة الرب تعالى ؟

السؤال

"القلب كعبة يعبد الله فيها, والله ـعز وجل لا يحب مزاحمة الأصنام الآخرين" . فهل يصح هذا القول علي مذهب أهل السنة والجماعة ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

القول بأن القلب كعبة ، والمعبود سبحانه لا يرضى بمزاحمة الأصنام ، لا يعرف عن السلف ، وإنما يطلقه بعض العلماء في كلام الوعظ والإرشاد ليبين للناس أن قلب العبد ينبغي أن يكون لله تعالى ، فيحب لله ، ويبغض لله ، ويوالي في الله ويعادي في الله ، ويخشى الله ويرجو رضاه ويعمل لأجله ، ولا يزاحمه فيه حب أو قصد أو إرادة ، لأن هذه المزاحمة تكون أحيانا مخالفة لعبودية العبد التي يجب أن تكون للرب لا لغيره ، فيحب أشياء تزاحم محبة الله ، حتى يصير عبدا لها ؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ) رواه البخاري (6435) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" قَوْله (عَبْد الدِّينَار) أَيْ طَالِبه الْحَرِيص عَلَى جَمْعه ، الْقَائِم عَلَى حِفْظه , فَكَأَنَّهُ لِذَلِكَ خَادِمه وَعَبْده .

قَالَ الطِّيبِيُّ : قِيلَ خُصَّ (الْعَبْد) بِالذِّكْرِ ، لِيُؤْذَن بِانْغِمَاسِهِ فِي مَحَبَّة الدُّنْيَا وَشَهَوَاتهَا، كَالْأَسِيرِ الَّذِي لَا يَجِد خَلَاصًا , وَلَمْ يَقُلْ مَالِك الدِّينَار ، وَلَا جَامِع الدِّينَار ؛ لِأَنَّ الْمَذْمُوم مِنْ الْمِلْك وَالْجَمْع: الزِّيَادَةُ عَلَى قَدْر الْحَاجَة .

وَقَوْله (إِنْ أُعْطِيَ إِلَخْ) يُؤْذِن بِشِدَّةِ الْحِرْص عَلَى ذَلِكَ .

وَقَالَ غَيْره : جَعَلَهُ عَبْدًا لَهُمَا لِشَغَفِهِ وَحِرْصه ؛ فَمَنْ كَانَ عَبْدًا لِهَوَاهُ : لَمْ يَصْدُق فِي حَقّه (إِيَّاكَ نَعْبُد) فَلَا يَكُون مَنْ اِتَّصَفَ بِذَلِكَ صِدِّيقًا " انتهى من "فتح الباري" (11/245).

وكذلك ليقوم العبد المؤمن بتطهير قلبه ، كما يؤمر بتطهير الكعبة بيت الله ، قال تعالى : (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) الحج/ 26 .

وممن وقفنا على استعماله لهذه العبارة : ابن القيم رحمه الله ، قال :

" إِطْلَاق الْبَصَر ينقش قي الْقلب صُورَة المنظور، وَالْقلب كعبة، والمعبود لَا يرضى بمزاحمة الْأَصْنَام " انتهى من "الفوائد" (ص

. (67

وهذا الكلام أخذه ابن القيم من ابن الجوزي رحمه الله ؛ في كتابه "المدهش" (ص 363) .

ومثل هذا يقال من باب المجاز ، وضرب الأمثال ، وتقريب المراد من ذهن الإنسان ؛ وللتوسع في العبارات في مثل ذلك مجال .

والله تعالى أعلم .